مفكرة

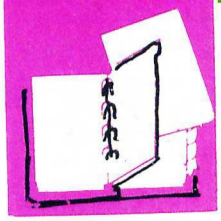

دموع التماسيح على أمن لبنان!

يوم ٢٠ شباط ١٩٧٣ ، اغارت القوات الاسرائيلية ، بحرا وجوا على مخيمي « البداوي »و « نهر البارد » في شمالي لبنان ، سقط خلالها عشرات الشهداء والجرحى من سكان المخيمين . وفي ايار من العام نفسه وقعت مجازر أيار الشهيرة .

ما زلت اذكر ولن أنسى أشلاء الدمار الهمجية والمجازر الوحشية التي ارتكبت في مخيمي النهر البارد والبداوي في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات على اثر عملية انزال صهيونية غادرة في المنطقة ، ما زالت ترن في اذني الكلمات الحاقدة التي تبجحت بها رئيسة وزراء العدو الصهيوني وهي تعلن متفاخرة ان اهداف العملية هي ملاحقة الفلسطينيين أينما وجدوا وبأنها جزء من سلسلة عمليات خاصة تستهدف الوجود الفلسطيني . لم تكن هذه المجزرة هي الاولى ولن تكون الاخيرة من نوعها ولكنها كانت تتميز في زمان ومكان حدوثها . فمن حيث زمانها جاءت هذه العملية في وقت بعيد اعلان المقاومة اتفاقية مع الدولة لايقاف العمليات العسكرية عبر الحدود الشمالية لفلسطين لقطع الطريق على تشدق المتباكين على سلامة لبنان والمتذرعين بأن مثل هذه العمليات تعطي « مبررا » لاسرئيل للقيام بهجمات انتقامية لا يستطيع لبنان تحمل اعبائها ، وتضمنت الاتفاقية « تعهد الدولة بحماية المخيمات الفلسطينية » ضد اي اعتداء . أما المكان فكان بالقرب من حدود لبنان الشمالية وعلى بعد عشرات الامتار من ثكنات الجيش الذي لم يف بالتزاماته وتعهداته . لم يكن احد يتصور ان الدولة التي حشدت قواها بالقرب من المخيمات لحمايتها كانت تعد لتنفيذ جزء اخر من المؤامرة في ايار من العام نفسه ، فلم تكن اسرائيل اذن بحاجة لاي مبرر لضرب الفلسطينيين وملاحقتهم (اينما وجدوا) وهي التي قامت باقتحام بيوت القادة الثلاث على مرأى ومسمع الدولة ذاتها . ولم تكن الدولة بحاجة الى مبرر لضرب المخيمات وهي التي غضت الطرف عن عمليتي البداوي والفردان نتيجة «اهمال» كانت آثاره ابشع بكثير من آثار المؤامرة ولربما كان ضرب المخيمات في أيار جزءا من هذا « الاهمال » أو لربما كان ذروة الحرص والحذر والايفاء بالالتزامات والتعهدات ولكن لمن ؟

واليوم ، اليوم بالذات اذكر حين تناسى المتشدقون وذرفوا دموع التماسيح على أمن لبنان واستقراره ان عملية البداوي والفردان وايار المؤامرة قد اجبرت المقاومة الفلسطينية على اعتماد برنامج للدفاع الذاتي عن المخيمات في ظل تنصل الدولة عن مسؤولياتها ... بل واشتراكها العلني والرسمي في تنفيذ ما اعلنت عنه جولدا مائير من ملاحقة للفلسطينيين اينما وجدوا . واذا كان الفلسطينيون يتسلحون لردع الخطر الاسرائيلي المعلن والذي لم يعد بحاجة الى مبرر واذا كانت الدولة قد ضربت بتعداتها لحماية المخيمات عرض الحائط ، فما هو الخطر الذي يتهدد من يشحنون السلاح بكميات هائلة الى جونيه ؟

ان ابسط قواعد المنطق وشرائع حقوق الانسان والالتزام الثوري يفرض على المقاومة الفلسطينية اقامة نظام كامل للدفاع عن المخيمات وأبناء الشعب الفلسطيني ومؤيديه من الحركة الوطنية في الوقت الذي انيط فيه اللثام عن النوايا العدوانية السافرة التي يحشد لها اليمين الانعزالي المرتبط عضويا بالامبريالية واسرائيل وفي الوقت الذي ثبت فيه بالتجربة الملموسة تحيز الدولة ووسائل قوتها الذاتية الى جانب المؤامرة والمتآمرين . فأي خطر هذا الذي يتهدد اليمين الانعزالي سوى خطر وحدة الجماهير الفقيرة والمضطهدة اسلامية كانت أم مسيحية ، وحدة الالام والامال ووحدة الموقف في مواجهة الغلاء والرشوة والفساد ووحدة القضاء على الاحتكار والاستغلال وتحطيم القيود الطائفية التي كبلت ايدي هذه الجماهير .

وما دام ليس هناك خطر خارجي معلن ضد اليمين الانعزالي والدولة والنظام سوى الخطر الذي أعلنت عنه اسرائيل والدولة والقوى الطائفية والانعزالية مؤخرا ضد الفلسطينيين مما وضع جميع هذه القوى في موقع الهجوم لا موقع الدفاع . فلماذا تكديس الاسلحة بهذا الشكل في الوقت الذي يرفع فيه اليمين شعار (ان قوة لبنان في ضعفه) ؟ لقد بات الغرض واضحا تماما وهو ضرب الجماهير العمالية والفقيرة أينما وجدت على نمط اعلان رئيسة وزراء اسرائيل واليمين الانعزالي والنظام ليس بحاجة الى مبرر لضرب الفقراء ، فبؤسهم الذي لا يعجبه هو أكبر مبرر تماما كمبررات جولدا مائير عندما قامت بعملية البداوي وفردان وسارت وحذت حذوها السلطة اللبنانية .

●●●

واخيرا في هذه الذكرى المؤلمة وما تبعها من كشف للنوايا وتفاعل في الاحداث ليس أمامنا بعد كل الذي حدث ولمسناه وشهدناه وكلفنا دماء زكية غالية من أبناء جماهيرنا الفلسطينية واللبنانية ، علينا ان لا ننتظر ونتوقع المبررات من اسرائيل واليمين الانعزالي والنظام لضربنا من اجل استعبادنا وطمس معالم قضايانا الاجتماعية والاقتصادية الحقيقية بما يستخدمه من أسلحة طائفية وعسكرية قذرة ، فهذا العدو التاريخي الشرس لن يبحث عن المبررات كلما سنحت له الفرصة لتدمير قوانا وبناء عليه فان عامل قوتنا الذاتي ويقظتنا المستمرة وعدم وقوعنا في شرك الطائفية البغيضة هو الضمانة الوحيدة لبقائنا واستمرارنا في طريق النضال حتى نبلغ غايتنا ونحقق آمال الجماهير العريضة بالنصر والحرية واستقلال الارادة الوطنية الحقيقية .

محمود ساحوري